قضايا في تعليمية النصوص من منظور بشير إبرير

قراءة في كتاب "تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق"

Issues in Text Education from Bashir Ibrir's perspective: A reading in the book " Text Education Between Theory and Practice"

عبد الحليم معزوز*
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف- ميلة (الجزائر)
a.mazouz@centre-univ-mila.dz

تاريخ الإرسال: 2024/04/06.	تاريخ القبول: 2024/04/22.

الملخص:

يمثل النص دعامة أساسية في التدريس، خاصة تعليم اللغة، ومن أجل ذلك كان الاهتمام به كبيرا من لدن المربين واللغويين ومعدي المناهج التعليمية، وذلك من خلال الاهتمام بالبناء المتماسك والجيد للنصوص موضوع العملية التعليمية، لأن النصوص المبنية على أسس صحيحة تسهم في بناء عقل منظم قادر على التعامل المنهجي التركيبي مع مقومات العلوم والمعارف.

وبناء على ذلك، يحاول هذا البحث الخوض في تعليمية اللغة العربية بالاعتماد على النصوص، وذلك بالاعتماد على استقراء آراء الدكتور بشير إبرير في كتابه "تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق"، مركزا على تساؤل أساس حول مميزات تلك الآراء التي ضمنها بشير إبرير كتابه في قضية تعليمية النصوص.

الكلمات المفتاحية: قضايا التعليمية؛ النص؛ بشير إبرير؛ قراءة؛ المعلم؛ المتعلم.

Abstract:

The text represents a fundamental pillar in teaching, especially language education. Therefore, it has received significant attention from educators, linguists, and curriculum developers. This is achieved through a focus on the coherent and well-crafted texts, which serve as the subject of the teaching (educational) process. Texts built on sound foundations contribute to the development of an organized mind capable of systematically dealing with the elements of sciences and knowledge.

Based on this, this research seeks to delve into the educational aspects of the Arabic language, relying on texts and drawing from the perspectives of Dr. Bashir Ibrir in his book "Teaching Texts: Between Theory and Application(practice)." Focusing on a fundamental question regarding the merits of the views (opinions), he included in his book regarding the issue of text education (teaching texts).

Keywords: Educational issues; text; Bachir Ibrir; reading; teacher; learner

* المؤلف المرسل: عبد الحليم معزوز

مقدمة:

تتطلب العملية التعليمية صياغة فرضيات متعلقة بالمادة الدراسية، ثم تطبيق ذلك في الواقع التعليمي، وبناء على ذلك فإن العملية التعليمية تشمل جانبا نظريا وآخر تطبيقيا، ولعل ذلك ما يجعلها تهتم بطرائق التدريس وتقنياته وأشكال تنظيم حالات التعلم التي يخضع لها المتعلم بغية الوصول إلى تحقيق الأهداف المنشودة، إذ إنها تخصص يستفيد من عدة حقول معرفية مثل: اللسانيات، وعلم النفس وعلم الاجتماع.

فالتعليمية هي العلم المختص بالبحث في طرائق التدريس وتقنياته، وتعد علما قائما بذاته ينصب اهتمامها على الإحاطة بالتعليم، إذ تهتم بكل جوانب العملية التعليمية ومركباتها، فهي بحث ضروري لتجديد التعلم والتعليم، موضوعها هو خلاصة المكونات والعلاقات بين الوضعيات التربوية، أو بعبارة أخرى فإنها تتعلق بالتخطيط للوضعية البيداغوجية وكيفية مراقبتها وتعديلها عند الضرورة.

أما تعليمية النصوص فتشير إلى العملية التعليمية التي ترتكز على تعليم وتدريس النصوص، تهدف إلى تنمية مهارات القراءة والفهم والتفكير التحليلي والتقييم، بالإضافة إلى تطوير المهارات اللغوية والاتصالية لدى المتعلمين.

من هذا المنظور، فإن التعليمية تشمل دراسة أنواع مختلفة من النصوص مثل النصوص الأدبية، والعلمية، والإعلامية، والتعليمية، ويتم من خلالها تحليل تلك النصوص وفهم مكوناتها المختلفة مثل الهيكل التركيبي والأفكار الرئيسية والتنظيم المنطقي، من خلال أنشطة التعليم المتنوعة، والتي من خلالها يتم تطوير مهارات المتعلمين في قراءة وفهم النصوص بطرق فعالة.

يعد الدكتور بشير إبرير من الباحثين الذين قدموا إسهامات مهمة في مجال تعليمية النصوص، إذ يعتبر من أبرز الأصوات التي ركزت على الجوانب النظرية والتطبيقية لتعليم النصوص، وقد قدم العديد من المفاهيم والمبادئ والاستراتيجيات المفيدة لتعزيز فهم المتعلمين للنصوص وتعلمهم من خلالها.

تأسيسا على ذلك، يحاول هذا البحث التطرق بالتحليل والنقد لبعض قضايا تعليمية النصوص من منظور بشير إبرير والتي ضمنها كتابه "تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق"، من أجل إلقاء الضوء على تلك القضايا وبيانها من جهة، ثم التطرق إلى زوايا جدواها من الناحيتين النظرية والتطبيقية خدمة لمتعلمي اللغات عموما، واللغة العربية بوجه خاص.

1 إشكالية البحث:

إن الإحاطة الجيدة بالموضوع والتمكن من التحليل الجيد لمعطياته تقتضي تحديد الإشكالية بدقة والوقوف على أهم النقاط التي سيمسها البحث، وعلى هذا فإن البحث يتمركز أساسا حول أهم قضايا التعليمية بصفة عامة، وتعليمية النصوص بصفة خاصة التي أثارها الدكتور بشير إبرير في

كتابه. ومدى صلاحية تلك القضايا لتأسيس نظرية علمية يعتمدها الباحثون في حقل التعليمية مرجعا أساسيا للباحثين في حقل التعليمية، ولمتعلمي اللغات.

يروم هذا البحث الإجابة على التساؤلات الآتية:

- هل القضايا التي طرحها إبرير في كتابه تصلح لأن تؤسس لنظرية في تعليمية النصوص؟
- ما أهم الاستراتيجيات التي قدمها إبرير من أجل تعليم النصوص؟
- أهمية تلك القضايا في حقل تعليمية اللغة عامة، وتعليمية النصوص بوجه خاص.

2 الفرضيات:

للإجابة على التساؤلات السابقة يفترض البحث الإجابات الآتية، والتي سيتحقق منها من خلال قراءة في الكتاب عينة الدراسة:

- قدّم بشير إبرير نظرية شاملة لتعليم النصوص، قوامها تكوين المعاني وفهم البنية التركيبية والمضامين الرئيسية للنصوص.
- قدّم إبرير مجموعة من الاستراتيجيات التعليمية التي تعزز فهم النصوص وتعلّمها.
- شدّد إبرير على دور المعلم في تعليم النصوص؛ حيث عدّه الوسيط الفاعل بين النصوص والمتعلمين، وقد أشار إلى قدرته على توجيه المتعلمين وتشجيعهم على التفكير النقدي وتطوير قدراتهم في فهم وتحليل النصوص.
- اقترح إبرير أفكارا حول كيفية تقييم فهم المتعلمين للنصوص وتحقيق التقدم في تعلمهم، مشددا على أهمية التقويم الشامل والتفصيلي لمهاراتهم وفهمهم العميق للمضمون والتنظيم الداخلي للنصوص.

3 أهمية الموضوع:

يعدّ التطرق إلى موضوع تعليمية النصوص من الأهمية بما كان، خاصة عندما يرتبط ذلك بتعليم اللغة وتعلّمها، وتزداد تلك الأهمية عندما ترتبط بكتاب يعده المشتغلون في التعليمية من بين أهم المراجع في هذا الحقل، وهو كتاب "تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق"، فعرض تلك القضايا ونقدها وإبراز مكانتها بين نظيراتها وبيان قيمتها العلمية، وآثارها العملية ضرورة يسعى هذا البحث إلى تحقيقها.

فلا غرو أن الإسهامات في هذا المجال - وإن كثرت وتنوعت- فإنها تسهم في تقديم لبنات جديدة، وتفتح المجال لمناقشة تلك القضايا المتعلقة بتعليم اللغة وتعلّمها، وتقييم الوسائل والوسائط المستخدمة في هذا الغرض، فالموضوع حيوي يعالج عملية لغوية بالغة الأهمية، ونشاطا اجتماعيا مقترنا بحياة الإنسان الذي يعيش عولمة لغوية تلزمه تعلم أكثر من لغة ليكون فعالا ومتفاعلا في المجتمع.

وكل هذا يبيّن الأهمية العلمية النظرية والإجرائية لهذا الموضوع، فاستنباط تلك القضايا ومناقشتها ونقدها يساعد على الوقوف عليها وإيضاحها.

4 مفاهيم نظرية:

يرتكز هذا البحث أساسا على مناقشة أهم قضايا التعليمية التي أثارها الدكتور بشير إبرير في كتابه، وبيان قيمتها العلمية، والمسوغ الذي جعله يعتبر النصوص بمختلف أنواعها وتصنيفاتها محورا أساسا ضمّنها تلك القضايا في التعليمية، لكن قبل الولوج في ذلك لا ضير أن يستعين البحث ببعض المفاهيم النظرية التي ترتبط بالموضوع، وتكون له مستندا معرفيا عند التطرق إلى تلك القضايا عند استنباطها من الكتاب مدونة البحث.

4- 1 التعليمية:

يرجع تأصيل المصطلح المتداول في التدريس التعليمي عند الغرب إلى الاشتقاق الإغريقي"Didaktikos" فهو يدل على معنى التربية.

ويعرف كل من "سميث آب"،و"ميلاري"، و"بروسو" التعليمية على أنها: "دراسة الشروط اللازم توفرها في الوضعيات أو المشكلات التي تقترح للتلميذ قصد السماح له بإظهار الكيفية التي يشغل بها تصوراته المثالية أو رفضها[1]".

4- 2 تعليمية النصوص:

تعد النصوص أهم وسيلة تعليمية، فالنصوص وعاء للثقافات والأحوال الاجتماعية، والوقائع التاريخية، إذ تعد النصوص وعاء التراث اللغوي، وهي مادته التي عن طريقها تكتمل مهارة المتعلمين اللغوية والفكرية والتعبيرية والذوقية، فالنص رسالة يرسلها الباث إلى المتلقي ويعالج موضوعا معينا فيعرض على المتعلمين على نمط فكري متناسق ومترابط يتسم بقيمة جمالية فنية تسهم في تنمية الذوق الفني عندهم.

وتستمد تعليمية النصوص أهميتها من كونها المجال الذي يساعد على بناء عقل منطقي ونقدي ومنظم تكون له القدرة على المزج بين اكتساب المعارف والمعلومات من جهة وكذا اكتساب الذوق الفني الجمالي من جهة أخرى؛ فتعليمية النصوص تمكّن المتعلم من تحصيل "مهارات نصية متعددة وكذلك اكتساب أنواع التفكير المنهجي، والنص يتناول في ضوء المقاربة بالكفاءات، من حيث هو كلية مترابطة، وأن دراسته يجب أن تكون من هذا المنطلق"[2].

وتكون تعليمية النص باستثمار المعارف المكتسبة سابقا لدى المتعلم، فتكون دراسة النصوص بمثابة الكفاءة الختامية عندهم؛ فعند استعمال النصوص مادة تعليمية يحاول المعلم استحضار المعارف السابقة لدى التلاميذ من خلال طرح أسئلة تستهدف معلومات سابقة لديهم ومتعلقة بالنص

موضوع الدراسة، فتكون إجابات المتعلمين طريقة تربطهم بالنص، كأن يكونوا قد سبق لهم أن اطلعوا على نصوص أخرى لصاحب ذلك النص، فيكونون على دراية بتوجهاته ونمط الكتابة عنده، وأهم المواضيع التي يكتب فيها فيساعدهم ذلك في فهم الغرض من النص، ويسهل لهم طريقة التعامل معه واستخراج المعلومات والمعارف المستهدفة، ويُضاف إلى ذلك أن "أن وضع النص في سياقه التاريخي له دور أساسي مهم يهتدي من خلاله المتعلم إلى مظاهر الأدب المتعددة عبر مراحل متعاقبة دفعت لتطوره تبعا لإفرازات سياسية أو حتى اجتماعية ومنه حتمية العمل بما يناسب روح النص ولا يبقى أدبا متحفيا متحجرا"[3].

3-4 تعليمية النصوص في التراث العربي:

تجدر الإشارة بداية أن مصطلح "النص" لم يكن شائعا في الاستعمال عند اللغويين العرب القدامى، فكان لصيقا بعلم التفسير وأصول الفقه، لارتباط المصطلح بمفهوم الدليل الشرعي (القرآن والسنة النبوية)، والمرتبط بالقاعدة الفقهية المشهورة "لا اجتهاد مع النص".

أما في علم اللغة، فمفهوم النص فيتحدد من خلال جملة من المفاهيم التي تتضمنه وهي: الجملة، والكلام، والقول، والتبليغ، والخطاب، والبيان. ولعل أكثر المفاهيم المتضمنة مفهوم النص هو "النظم" عند عبد القاهر الجرجاني.

ثم إننا نجد ابن خلدون يجعل تعليم النصوص ومعرفتها من أبرز الوسائل لتعليم الملكة اللسانية، والتدرب على تنمية المهارات اللغوية من خلال تعلم النصوص والاستماع إليها من متكلميها الأصليين؛ فيقول في هذا الصدد: "فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية فيهم، يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولا، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ثم لا يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلّم، واستعماله له يتكرر، إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة، ويكون كأحدهم. هكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلمها العجم والأطفال"[4].

4- 4 أسس تعليم النصوص:

يسعى كل نظام تربوي إلى تحقيق أهداف وغايات محددة توجه عملية التعليم والتعلم، ولذلك كان التوجه التعليمي الحديث الذي تبنته المنظومة التربوية في الجزائر، والقاضي بتطوير الكفاءات اللغوية المختلفة عند المتعلمين، مستندا على استثمار النصوص في العملية التعليمية وسيلة للوصول إلى تلك الغاية، فتعليمية النصوص تطور تلك المهارات اللغوية، وتنشط عند المتعلمين مختلف الحواس التي يوظفها كالاستماع والتحدث والقراءة والكتابة، كما أن استعمال النصوص وسيلة تعليمية يساعد على سرعة الوصول إلى المعارف والمعلومات، وتنمية الذوق الجمالي عند المتعلم.

على هذا، يمكن أن تتحدد أسس تعليم النصوص في الآتي:

- إعطاء الأولوية للاستعمال الشفهي للغة العربية، وذلك بالاعتماد أساسا على الأنشطة اللغوية الشفهية.

- تنشيط القدرة التفكيرية والنقدية لدى المتعلم، من خلال التركيز على سبل تحقيق الفهم وتنمية مهارته النقدية.
- الانفتاح على قراءة النصوص، والتنويع في الأنشطة التطبيقية والتقويمية.
- إتاحة الفرصة أكثر للمتعلم من أجل التفاعل في الحصة، من خلال إشراكه في خطوات الدرس، وتكليفه بقراءة النصوص.

5 أنواع النصوص التعليمية و أنماطها:

تنقسم النصوص في اللغة العربية إلى أقسام كثيرة، يتميز كلٌّ منها بالعديد من الخصائص والمزايا التي تجعله متماسكا وذا وحدة وقوة في اللغة والأسلوب. ولا غرو أن عملية تصنيف النصوص من الصعوبة بما كان؛ ويرجع ذلك أساسا لكثرة تلك النصوص، كما أن الصنف الواحد منها قد يشتمل على أنماط كثيرة كالسرد والوصف والشرح، مما يعيق تصنيف تلك النصوص شكل دقيق. ومع ذلك، فقد تضافرت جهود اللغويين المهتمين بالنصوص في سبيل التوصل إلى تصنيف أكثر دقة ووضوح، ويمكن أن نجمل تلك التصنيفات في الآتي:

أ - التصنيف على أساس وظيفي تواصلي[5]:

يركز على الوظيفة اللغوية المهيمنة في النص، والمرجع الأساسي لهذا التصنيف هو رومان جاكسون الذي ميز بين مختلف النصوص حسب الوظيفة الأكثر بروزا فيها؛ كالنصوص المرجعية والنصوص التأثيرية والنصوص التنبيهية، والنصوص الشعرية الأدبية.

ب - التصيف السياقي أو المؤسساتي:

يركز على الوظيفة الاجتماعية التي يؤديها النص، منها مثالا: النصوص الإعلامية والدينية، والإشهارية والإدارية، وغيرها؛ فهي مرتبطة بهيئة معينة أو ما يمكن ردها إلى المؤسسة التي يصدر عنها.

ج – التصنيف حسب العملية الذهنية الموظفة في النص:

وهو التصنيف الذي يميز بين أنواع النصوص حسب العمليات الذهنية التي توظَّف في النص أكثر من غيرها كالاستدلال، أو الشرح، أو العرض أو السرد؛ ومن ذلك نجد:

- النص الأدبي:

تهدف النصوص الأدبية بالدرجة الأولى إلى إيداع ما يسد حاجة الفرد من اللذة والمتعة، وارتكاز النصوص الأدبية على التعبير الإبداعي يجعل منها في مفهومها العام نصوصا جمالية تهتم بإرسال الأفكار والآراء والمشاعر بطريقة فنية تجذب القراء وتمتعهم وتفيدهم فكريا ومعرفيا، وتبحث لتحقيق ذلك من السبل المناسبة للتأثير في المتلقي تأثيرا يأسره ويعيده إلى قراءة العمل الأدبي.

- النص العلمي:

" يتميز النص العلمي بكونه يقدم حقيقة لا يوجد فيها اختلاف بين الناس وإنما يستعينون في فهمها باختيار نتائجها اختبار يخضع لوسائل مادية محسوسة ومعاير الحكم على مثل هذه الحقائق لا يترك مجالاً للصفات الفردية الخاصة التي تختلف بين الأفراد وإنما تكتسب معاييرها صفة العلمية لما لها من واقعية يؤكدها المنطق وتثبتها التجربة العالمية"[6].

- النص الحجاجي:

إن النية أو القصد في هذا النوع من النصوص هو تغيير اعتقاد يُفترض وجوده لدى المتلقي، فينطلق النص من مبدأ أن القارئ له رأي حول قضية ما ويحاول إقناعه برأيه فيؤثر فيه ويغير رأيه.

- النص السردي:

يشير النص السردي عموما على إحالات على واقع معين تجري فيه الأحداث التي تشكل موضوعه، ضمن إطار زماني محدد، يظهر المؤلف فيه كيفية تحوّل الأحداث، وتطورها عبر الزمن، ويشمل الخطاب السردي على تسلسل أحداث تعرضه مجريات الأحداث، كما يتضمن النص السردي حزمة من المؤشرات الزمانية، وعلى نمط معين من الروابط المنطقية (بعد ذلك، قبل ذلك....).

- النص الوصفي:

يعكس الوصف واقعا فيه إدراك كلي وآني للعناصر المكونة لهذا الواقع، وكيفية انتظامها في الفضاء أو المكان الذي توجد فيه. وقد يكون الوصف لموجودات جامدة أو أشخاص أو غيرها، وعادة ما يعتمد في بناء هذا النوع من النصوص على الانطلاق في الوصف من أقرب نقطة إلى أبعد نقطة، من الأسفل إلى الأعلى أو العكس؛ وقد يذكر الواصف التفاصيل أو يتغاضى عنها وقد يذكر المكان أو يتجاهله[7].

4- 6 غايات تدريس النصوص:

تتجلى أهمية تعليم النصوص في ملمحين اثنين متماثلين؛ وهما الأهمية التعليمية والأهمية اللغوية؛ فالأهمية التعليمية تتمثل في الإسهامات المعرفية والنفسية والفكرية التي تقدمها النصوص كونها عنصرا فعالاً من عناصر التفاعل الاجتماعي والثقافي، كما أنها تعتبر ظاهرة ثقافية ترتبط بواقع المتعلم ارتباطا وثيقا يجعل من غيابها عن درسه اللغوي شرخا تعليميا وتغريما ثقافيا.

لا غرو أن ثراء النصوص من حيث محتواها الثقافي وتنوعها يسهم بفاعلية في تنمية الرصيد المعرفي والثقافي للمتعلم، وتثري معجمه بمصطلحات الحضارة، إضافة إلى استفادته معرفيا من خلال ما يحصله بقراءته للنصوص العلمية والأدبية والإعلامية.

فتوظيف النصوص في العملية التعليمية يعد أحد الوسائل التي تتيح للمتعلم إمكانية التعليم الذاتي، ويتم له ذلك من خلال تنمية استراتيجيات العمل على النصوص، فذلك من شأنه أن يدفع إلى استعمال تلك الاستراتيجيات خارج قاعات الدرس استنادا على واقعية محتواها اللغوي وموضوعها.

أما الأهمية اللغوية؛ فإنها تتجلى في بعض الأهداف اللغوية التي تحققها تلك النصوص من خلال مراعاة المستوى التعليمي للتلميذ أثناء اختيار النصوص المناسبة؛ ومن ذلك:

- مراعاة قدرة المتعلم في اللغة العربية، ويتجلى ذلك في إنتاجاته التعبيرية عن كل الأحوال والظروف والمقامات؛ فيكون ذلك له دافعا لتوظيفها في كل السياقات كتابيا وشفويا إلى أن يتدرب على ذلك.

- إن استثمار النصوص في العملية التعليمية، وخاصة تعليم اللغة لا ينحصر في درس القراءة أو البلاغة أو النحو فحسب، بل يزيد على ذلك ليتضمن جميع فروع اللغة العربية، وفي تنمية الملكة الثقافية للمتعلم من خلال الإجراءات والأنشطة التي تمارس فيها النصوص دورا فاعلا في ذلك بحكم بعض من خصائصها التي تقبل بها نحو الاستعمال الطبيعي للغة.

- تكمن قيمة النصوص اللغوية أو التعليمية في تلك المقومات التي ينبغي تجسيدها في الواقع التعليمي؛ فاستثمار النصوص يركز على توفير شروط وإنماء ملكات المتعلم وقدراته العقلية.

5 الدراسة التطبيقية:

يعد كتاب "تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق" من أهم الكتب التعليمية، ذلك لأنه خاض في إشكالية استغلقت على كثير من الباحثين في حقل التعليمية، وهي إشكالية تعليم اللغة بالاعتماد على النصوص مادة ووسيلة تعليمية في الآن نفسه، ثم جعل هذه الممارسة تنتقل من الميدان التنظيري إلى الممارسة التطبيقية الميدانية، بحيث يبيّن شروط اختيار تلك النصوص، وأهداف اتخاذ النصوص دعامة تعليمية، والفائدة المرجوة من تعليمية النصوص.

وكان الأستاذ إبرير مدركا لأهمية العمل الذي هو بصدد طرحه على المختصين والمهتمين بالتعليمية، وتجلى ذلك في مقدمة الكتاب التي ذكر فيها الهدف الأساسي من تأليفه للكتاب؛ إذ يقول في ذلك: "ينطلق هذا الكتاب من هدف تربوي أساسي يحاول أن يحوّل المعرفة العالمة إلى معرفة متعلمة، يخرجها من مستوى الوجود بالقوة إلى مستوى الوجود بالفعل، فما يلاحظ على ممارسة تدريس الأدب في المؤسسة التعليمية بما في ذلك الجامعة، أنه يشكو فقرا مدقعا في النظر إلى العلاقات المتبادلة بين الخطاب التربوي والخطاب الواصف للنصوص تحليلا ونقدا وتأويلا"[8].

أمّا عن الدواعي التي دفعت به إلى تأليف الكتاب فقد أوردها كالآتي:

- النقص الفادح التي تعانيه أغلب المدارس التعليمية بمختلف أطوارها في تحديد العلاقة بين الخطاب التربوي والخطاب الواصف للنهوض تحليلا ونقدا وتأويلا.
- الضعف الواضح الذي يعانيه متعلمو اللغة العربية في ممارسة اللغة واستعمالها في مختلف الظروف والمقامات وفي تلقي النهوض بالجامعة، وبرأيه سبب هذا راجع إلى قطع الصلة بين الثقافة الديداكتيكية التي تضمن التواصل بين مختلف مكونات العملية التعليمية التعلمية وكيفية تدريس الأدب.

ولكي يتحقق الهدف سعى إلى الاستفادة مما تم التوصل إليه في إطار اللسانيات والتعليمية، وما تعلق بقضايا تحليل الخطاب، وبعض إنجازات العلوم التي تهتم بالتحليل العلمي للنصوص كاللسانيات الاجتماعية والفنية وعلم الدلالة؛ كون هذه العلوم تتعامل مع النص على أنه معرفة في مكان وزمان معينين ومحيط اجتماعي متميز هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى تجعل المتعلم طرفا فاعلا في العملية التعليمية[9].

تتجسد تلك الدواعي والأهداف التي من أجلها ألف بشير إبرير كتابه من خلال المواضيع التي ناقشها في طياته، وتمثلت في الآتي:

*** الباب الأول، وعنونه بمقدمات نظرية.**

ويندرج تحته خمسة فصول:

- الفصل الأول: التعليمية معرفة علمية خصبة.

- الفصل الثاني: مفهوم النص في التراث اللساني العربي.

- الفصل الثالث: مفهوم النص في اللسانيات الغربية.

- الفصل الرابع: النص إشكالات تصنيفه.

- الفصل الخامس: التواصل مع النص إشكالات القراءة والفهم.

*** الباب الثاني: وخصصه للممارسات التطبيقية يضم فصلين:**

- الفصل الأول: في تعليمية النص الأدبي.

- الفصل الثاني: تعليمية النص غير الأدبي.

5- 1 دواعي تصنيف النصوص:

إن المعالجة التعليمية لتصنيف النصوص تقتضي –حسب الأستاذ إبرير-أن تراعي حزمة من القضايا، يمكن حصرها في الآتي:

- محاولة الانطلاق من تعريف النص بحيث يكون ذلك التعريف شاملا لأكبر قدر ممكن من النصوص للنص.
- محاولة تحديد أهداف خاصة بالتصنيف فلماذا تصنيف النصوص؟ ما هي الفائدة من وراء ذلك؟ محاولة إيجاد تصنيف خاص بنا لا ندعي له الكمال أو أنه بديل عن التصانيف التي سنذكر بعضا منها؛ وإنما لكونه ينسجم مع وجهة النظر التي ننطلق منها.
- يعد النص حزمة من البنى الدلالية التي ينتجها الفرد أو الجماعة من الأفراد باستثمار كفاءاته اللغوية من الكلمات والتراكيب والعناصر المكونة للنظام اللغوي، وهي كفاءة أنشأها ضمن ثقافة معينة، لأن المعرفة تتلخص في النص وهو الذي يحفظها ويبلغها عبر الزمان والمكان.

فضرورة تصنيف النصوص يرجع أساسا إلى أهميتها من حيث كونها بنيات كلامية تؤدي وظائف تبليغية متنوعة، وتستخدم أدوات مختلفة للتعبير عن مضامينها، ولذلك كانت قضية التصنيف من الأهمية بما كان، وذلك أن الضرورة التعليمية تقتضي تصنيف النصوص لأنماطها المختلفة من أجل تسهيل التعامل معها، والاستفادة منها معرفيا ولغويا.

5- 2 إشكالية تصنيف النصوص:

غني عن البيان أن النصوص أنماط كثيرة وأصناف متعددة، ولذلك عمد الباحثون في النصوص إلى وضع أسس وخصائص تصنف النصوص وفقها، لكن قد يحتوي النص الواحد على خصائص لأنماط مختلفة من النصوص، فيكون أمر تصنيفها صعبا، حتى إن الأمر يصبح إشكالية؛ فقد بُذلت جهود -ولا تزال- من أجل تصنيف النصوص ومحاولة تبيان التداخل الموجود بينها؛ وفي ذلك كانت السبيل إلى تصنيف النصوص وفق معيارين اثنين هما الشكل والمحتوى؛ فاهتم بعض الدارسين بالجانب الشكلي في تصنيفه للنصوص، فيما اتجه فريق آخر إلى اعتماد المحتوى من دواعي هذا التصنيف.

وفي هذا الصدد حاول الأستاذ بشير إبرير اقتراح تصنيف للنصوص، وتفصيل ذلك فيما يأتي:

أ- **النصوص الأدبية:** وهي عنده "تشمل الأنواع الأدبية المتعارف عليها من شعر ورواية وقصة وسرد وأوصاف، وتتميّز بلغتها الخالقة المبدعة التي تهاجر وتعبر وترحل بين الدلالات المختلفة ولذلك تتعدد قراءاتها وتتسع لوجوه التأويل، كما تتميز بطاقتها الخلاقة على الوصف الذي يتيح للقارئ المتعلم فرصة تصور الأماكن وتمثيلها بعناصرها المشكلة للنص"[10] .

ب- **النصوص العلمية:** وهي تتميز – حسبه- بكونها تعتمد "على وصف الواقع والأشياء وصفا مباشرا دقيقا، ولذلك فهو يهتم باللغة من حيث مصطلحاتها لا من حيث مفرداتها لأنها تنقل نتائج الدراسات والأبحاث العلمية المختلفة في الميادين العلمية"[11].

ت- **النصوص الإعلامية:** تتمثل في "الصحافة والإشهار وتستمدها من المكتبات والأكشاك والمراكز الثقافية والاشتراكات، وتستند على مؤشرات مرئية مثل العناوين في كتابتها ومضامينها وأنواع الطباعة وتتوجه لأغلب الجماهير لتمكنها من الفهم الإجمالي للأحداث الجارية"[12] .

إن التصنيفات المعهودة للنصوص لم تورد هذا الصنف من النصوص قسما مستقلا، بل نجدها تضع النصوص التي أدرجها الأستاذ إبرير في هذا الصنف ضمن الأصناف الأخرى، وقد برر الأستاذ إدراجه هذا الصنف مستقلا ضمن عملية تعليم النصوص تتميز في كثير من خصائصها عن النصوص الأخرى، خاصة ما تعلّق باللغة الخاصة المستعملة فيها، وكذلك الأسلوب، إضافة إلى محتوياتها والمواضيع التي تعالجها والتي تكون مختلفة عن النصوص الأخرى، وعلى هذا حق للأستاذ إدراج هذا الصنف من النصوص مستقلا عن غيرها.

ث- **النصوص الحجاجية البرهانية:** يقول عنها الأستاذ إبرير بأنها نوع مهم "من أنواع النصوص التي وصلت الدراسات بشأنه إلى نتائج هامة جدا، وتعد الأبحاث حول هذا النوع من النصوص امتدادا للموروث البلاغي، فهو حقل دراسي جديد تم استثماره في دراسة النصوص الأجنبية بينما تفتقد لغتنا العربية لهذا النوع من الدراسات بالرغم من تنوع نصوصها"[13].

غني عن البيان أن هذا النوع من النصوص يستهدف غرضا مهما جدا، وهي التأثير في المتلقي وجعله يقتنع بالفكرة التي يطرحها الباث، لذلك فإنه يغذي نصه بالبراهين والحجج les argumentations التي تضمن له القبول عند المتلقي؛ فهي خطابات تستهدف العقل والعاطفة معا.

ج- **النصوص الوظيفية الإدارية:** فهي- كما تحيل إليه تسميتها- نصوص متعلقة "بأداء الوظائف المختلفة أو تنفيذها مثل الوثائق الإدارية والتقارير والتعليمات"[14].

وخلافا للأنواع المتقدمة من النصوص، نجد الأستاذ إبرير يبرر علة إدراجه له، إذ يرى أن "برامجنا التعليمية لم تعر هذا النوع من النصوص اهتماما يذكر على أهميته، ثم إن المتعلم سيجد نفسه مجبرا على التعامل مع هذه النصوص فيما يتطلبه قضاء حاجاته في الحياة الاجتماعية"[15].

ويختم الأستاذ إبرير تصنيفه هذا بتقديم ملاحظات تؤكد أن هذا التصنيف إنما هو عمل إجرائي ولغرض تعليمي توضيحي، إذ في الواقع نجد نصوصا لا تصنف ضمن النوع الواحد تشترك في خاصية أو أكثر، ومن ذلك:[16]

- لا يختص النص الواحد بنمط واحد فقط من المعرفة، فالتحقيق مثلا نجد فيه الجانب الوصفي والسردي معا وقد يخلص إلى حكم أو وجهة نظر.
- نصادف الوصف في عدد من النصوص؛ كالنصوص العلمية والحجاجية والأدبية، حيث يصف الأمكنة والشخصيات بأسلوب يختلف عن وصف العالم لظاهرة ما أو حقيقية علمية.
- من الصعوبة بما كان تحقيق تكوين في القراءة لكلٍّ من أنواع النصوص المذكورة آنفا، ذلك لأنها تظهر الطرائق المتبعة في أثناء القراءة؛ فقراءة تعليق صحفي أو موضوع إنشائي هي عبارة عن قراءة وجهات نظر وآراء، ولهذا من المفيد أن نحلل القدرة على القراءة إلى أجزاء تبعا لفهمنا لهذه النصوص.

5- 3 أهداف قراءة النصوص:

تطرق الأستاذ بشير إبرير إلى تلك الأهمية في معرض حديثه في الفصل الخامس من الباب الأول من كتابه عن التواصل مع النصوص، وقد حاول من خلاله معالجة إشكالية القراءة والفهم، ولعل البحث في أهداف القراءة، أو كما ربطها الأستاذ إبرير بإشكالية **(لماذا نقرأ النص؟)**، يستمد أهميته من كون "تحديد الأهداف عاملا أساسيا في حياتنا التعليمية، بل في حياتنا برمتها، ولا يمكن التوصل إلى نتائج إيجابية وتحقيق مستوى جيد من التعليم ما لم تكن الأهداف واضحة ومحددة سواء أكانت أهدافا خاصة أم عامة"[17]. فسيرورة العملية التعليمية ونجاحها متعلقة أساسا بحسن تحديد الأهداف التعليمية؛ فعليها يتم اختيار المحتوى والوسائل والتقويم.

ولكون أمر تحديد أهداف القراءة بتلك الأهمية، فقد حددها مع مراعاة عناصر العملية التعليمية (المتعلم، البرنامج التعليمي، الوسائل، والمعلم)، وهي كالأتي[18]:

- **على مستوى المتعلم:** هل الهدف الذي اخترته يراعي:
  - **المكتسبات السابقة للمتعلم.**
  - **اهتماماته وميوله.**
  - **مستواه اللغوي وقدراته.**
- **على مستوى البرنامج المقرر:** هل الهدف الذي اخترته يراعي:
  - **المقرر الدراسي في أهدافه العامة ومراميه.**
  - **طبيعة الامتحانات الرسمية.**
- **على مستوى الوسائل:** هل الهدف الذي اخترته يراعي:
  - **الوسائل المتوفرة.**
  - **الشروط الإدارية وأوقات العمل.**
  - **المدة الزمنية لتحقيقه.**

- **على مستوى المدرس/ المعلم:** هل الهدف الذي اخترته يراعي:
  - **التكوين المعرفي للمدرس.**
  - **المؤهلات البيداغوجية.**
  - **العلاقات مع المتعلمين.**

5- 4 اختيار محتوى النص التعليمي:

وفي الحقيقة فقد نقل الأستاذ بشير إبرير أسس اختيار محتوى النص مما بيّنه الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح، وهي المظهر اللفظي، الذي يتعلق بمراعاة عدم التنافر بين مخارج الحروف في الكلمة، والمظهر الدلالي، الذي يقتضي اختيار الألفاظ الدالة على المعاني الشائعة بين المتكلمين على الألفاظ التي يختص بها شعب من الشعوب غير العربية. ثم المظهر النفساني – الاجتماعي، ويمكن تسميته المظهر الاستعمالي، وهو يهم كلا من المربي واللساني على حد سواء، فيتطلب تفضيل اللغة الأكثر استعمالا في لغة التخاطب الشائع بين جميع الأوساط والبلدان العربية.

5-5 نقد قضايا التعليمية عند بشير إبرير:

سعى هذا البحث أساسا إلى عرض القضايا التعليمية التي أوردها بشير إبرير في كتابه، وبيان أهميتها التطبيقية، ومكانتها مقارنة مع الجهود الأخرى، وعلى هذا فجدير بعد استعراض أهم تلك القضايا في تعليمية النصوص عند إبرير تقديم بعض الملاحظات عليها، كما يأتي:

- يتميز طرح قضايا تعليمية النصوص عند بشير إبرير عن غيرها أنها أوردت في كتاب ينفرد بها كموضوع، ولم يكن عرضها مع قضايا التعليمية الأخرى، فالكتاب مخصص فقط لقضايا تعليمية النصوص.
- سعى إبرير من خلال كتابه إلى إبراز القيمة النظرية والتطبيقية لتعليم النصوص، حيث ارتبطت الجوانب التطبيقية في تعليمية النصوص بالحديث عن النصوص التعليمية الأدبية وغير الأدبية. ففي النصوص الأدبية اتخذ صاحب الكتاب نموذجا تطبيقيا تمثّل في الرواية من خلال الإجابة على الأسئلة الآتية: لماذا ندرس الرواية؟ وكيف ندرسها؟ وكانت الإجابة من خلال تقديم نص روائي لعبد الحميد هدوقة (رواية الجازية والدراويش). أما النصوص غير الأدبية فتمثلت في دراسة تحليلية للخطابات الإشهارية، من خلال التركيز على بلاغة الصورة وفاعلية التأثير في هذا النوع من النصوص. وهي من ميزات هذا الكتاب.
- مع كل المزايا التي انفرد بها إبرير في عرض قضايا تعليمية النصوص إلا أن الموضوعات التي تضمنها الكتاب لم تختلف كثيرا عن الإسهامات الأخرى؛ فإذا استثنينا وضع قسم خاص للنصوص الإعلامية في تصنيف النصوص، فإن الباقي الموضوعات لا تختلف كثيرا عن باقي الجهود العربية في الموضوع.

- الهدف من تأليف كتاب" تعليمية النصوص بين النظرية التطبيق" هو حل إشكالية تعليمية شائكة تمثلت في صعوبة التعامل مع النصوص من الناحية التطبيقية، وصعوبة تلقي تلك النصوص، خاصة في المراحل الجامعية، وهو أمر ملاحظ فعلا خاصة في الوسط الجامعي، حيث تعد مهارة التعامل مع النصوص من أكثر الأمور صعوبة لدى طلبة اللغة والأدب العربي في الجامعة.
- شكلت آراء عبد الرحمن الحاج صالح في التعليمية خلفية نظرية أساسية للقضايا التي استعرضها الدكتور بشير إبرير في كتابه.

أما القيمة العلمية لقضايا تعليمية النصوص عند بشير إبرير بين نظيراتها من الناحيتين النظرية والتطبيقية، فيمكن إجمالها في الآني:

- طريقة عرض قضايا تعليمية النصوص في الكتاب ومناقشتها كانت متميزة لدرجة جعلته مرجعا أساسيا في الميدان.
- تشعب موضوعات التعليمية والحاجة إلى بيانها خاصة إذا كان التركيز على قضية بعينها، جعل هذا الكتاب الذي انفرد بتعليمية النصوص جعله أضفى عليه قيمة علمية خاصة.
- حدّد بشير إبرير بدقة الهدف من تأليف الكتاب في مقدمته، إذ " يحول المعرفة العالمة من معرفة متعلمة، يخرجها من مستوى الوجود بالقوة إلى مستوى الموجود بالفعل"[19] ، فتتجلى بذلك القيمة التطبيقية لهذا العمل، وتميزه عن نظرائه.
- ينضاف إلى ذلك توجيه هذا العمل من أجل قيمة وظيفية غاية في الأهمية وهي معالجة معضلة طلبة الأدب الذين تصعب عندهم النظر في العلاقات المتبادلة بين الخطاب التربوي والخطاب الواصف للنصوص تحليلا ونقدا وتأويلا.
- من هنا يعد هذا العمل مرجعا أساسيا لمعلمي الأدب ومتعلميه، ويسهم في اقتراح حلول نظرية وتطبيقية في مجال تعليم الأدب بتوظيف النصوص.
- ويعد إفراد النصوص الإعلامية صنفا منفردا ودراستها في الكتاب بربطها بجوانبها السيميائية يعد من الأمور التي استحدثها بشير إبرير وجعلته مرجعا حتى للباحثين في مجال الإعلام والاتصال.

خاتمة:

كان ما سبق محاولة بيان ومناقشة بعض قضايا تعليمية النصوص عند الأستاذ بشير إبرير والتي ضمّنها كتابه "تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق"، وهو كتاب يمكن عده مرجعا أساسيا للمهتمين بمجالي لسانيات النص والتعليمية على حد سواء، وفيما يلي أهم نتائج الدراسة:

- الاعتماد على النصوص في العملية التعليمية ينمي عند المتعلمين المهارات اللغوية والذوق الفني الأدبي.
- تصنيف النصوص هي عملية توضيحية لأغراض تعليمية، أما في الواقع فإن هناك تداخل بين تلك النصوص في توظيفها للأسس التي توظفها تلك النصوص، كالوصف مثلا، لكن يكون ذلك وفقا لطبيعة النص.
- طريقة عرض قضايا تعليمية النصوص عند الأستاذ بشير إبرير تتميز بالوضوح وسلاسة الأسلوب ودقة الطرح، مما يجعله أهم المراجع في هذا الموضوع.
- تحديد الأسس التي من خلالها تختار النصوص في العملية التعليمية أمر أساسي لنجاح العملية التعليمية.
- يرتبط اختيار النصوص بتحديد الأهداف التعليمية التي ترتبط بعناصر العملية التعليمية المتعلم، البرنامج التعليمي، الوسائل التعليمية، والمعلم).

الإحالات:

[1] طيب نايت سليمان، (د. ت)، المقاربة بالكفاءات الممارسة البيداغوجية " أمثلة علمية في التعليم الابتدائي والمتوسط، دار الأمل، الجزائر، ص 96.

[2] مديرية التعليم الثانوي، ماي 2006، اللجنة الوطنية للمناهج، الوثيقة المرفقة لمنهاج السنة الثالثة من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي –اللغة العربية وآدابها، الجزائر، ص 07.

[3] دراجي سعيدي وآخرون، 2007، دليل الأستاذ اللغة العربية وآدابها السنة الثالثة من التعليم الثانوي جميع الشعب، إشراف الشريف مريبعي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، ص 4.

[4] ابن خلدون: المقدمة، تح: عبد الله الدرويش، 2004، دار يعقوب، سوريا، ص 385.

[5] - نورة بن زرافة، سبتمبر 2010، تعليمية النص الأدبي في ضوء المقاربة النصية، مجلة سيميائيات، جامعة وهران 1، مج 3، ع3، ص 38.

[6]- محمد زكي العشماوي،2010، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، ص32.

[7]- نفسه، ص 38-39.

[8] بشير إبرير، 2007، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، ()، عالم الكتب الحديث، الكويت، ص 01.

[9] نفسه، ص 01.

[10] بشير إبرير، نفسه، ص 114.

[11] نفسه، ص 115.

[12] نفسه، ص 115.

[13] نفسه، ص 116.

[14] نفسه، ص 117.

[15] نفسه، ص 117.

[16] نفسه، ص 117.

[17] نفسه، ص 147.

[18] نفسه، ص 148.

[19] نفسه، ص 1.

المراجع:

1 أحمد محمد المعتوق، 1996، الحصيلة اللغوية أهميتها ومصادرها ووسائل تنميتها، عالم المعرفة، الكويت.

2 أحمد مذكور،2007، طرق تدريس اللغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن.

3 بشير إبرير،2007، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث، الكويت.

4 بشير ابرير، 2001، تعليمية الخطاب العلمي، مجلة التواصل، جامعة عنابة، ع 08.

5 دراجي سعيدي وآخرون، 2007، دليل الأستاذ اللغة العربية وآدابها السنة الثالثة من التعليم الثانوي جميع الشعب، إشراف الشريف مريبعي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية (الجزائر).

6 سعيد حسين البحري، 1997، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان، لبنان.

7 طيب نايت سليمان، (د. ت)، المقاربة بالكفاءات الممارسة البيداغوجية " أمثلة علمية في التعليم الابتدائي والمتوسط، دار الأمل، الجزائر.

8 محمد آيت موسى وآخرون، 1994، سلسلة علوم التربية، دار الكتب الوطني، المغرب.

9 محمد زكي العشماوي، 2010، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر.

10 مديرية التعليم الثانوي، 2006، اللجنة الوطنية للمناهج، الوثيقة المرفقة لمنهاج السنة الثالثة من التعليم الثانوي العام والتكنولوجي –اللغة العربية وآدابها، الجزائر.

11 نورالدين أحمد قائد وحكيمة مسعي، 2010، التعليمية وعلاقاتها بالأداء البيداغوجي والتربية، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 08.

12 نورة بن زرافة، سبتمبر 2010، تعليمية النص الأدبي في ضوء المقاربة النصية، مجلة سيميائيات، جامعة وهران 1، مج 3، ع3.